مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 797-812

# المكان الأليف والمعادي وانعكاسهما السيميولوجي على رواية طشاري لإنعام كجه جه

م.د. طارق جميل صكبان
وزارة التربية- مديرية تربية كربلاء
Dr.tariqjameel158@gmail.com
07780768509

**مستخلص البحث:**

إنّ أهم أسباب اختياري لهذا البحث؛ هو القيمة النوعية لهذه الرواية، والتي أخذ فيها الزمن والمكان انعكاسًا سميولوجيًا مهمًا، ولهذا يتناول البحث ثنائية المكان الأليف والمعادي وانعكاسه السيميولوجي على رواية طشاري لإنعام كجه جي، إذ يحدد البحث المواضع التي جعلت من هذا المكان أليفًا، أم معاديًا، فوجدتُ المكان رمزًا يصور المجتمع العراقي وتعايشه السلمي؛ كونه مكانًا أليفًا، وكذلك صور لي المكان المعادي مدى قهر وتشظي الإنسان العراقي في المنافي، وبين مدى تفكك العوائل العراقية بسبب الهجرة إلى خارج الوطن، وقد عمل الانعكاس السيميولوجي لهذه الأماكن على توليد المعنى بوصفه موضوعًا داخل نص لتوليد معاني جديدة، عن طريق الاشتغال الدلالي للعلامة داخل النص الروائي. أما أهم مشاكل البحث؛ فهي قلة المصادر التي تتناول مثل هكذا موضوع شائك مزج بين الأهمية السميولوجية للمكان والزمن، وانعكاسه السميولوجي على الشخصية التي تمثل روح الأقليات الدينية في العراق، ولهذا فأن البحث توصل إلى كسر الصورة النمطية بين الآخر ومكان تواجده مع الأغلبية. إذ أصبحت الأغلبية المغايرة مكانًا أليفًا لشخصية البطلة ، كونها تنتمي للآخر المختلف، بينما أصبح مكان تواجد الأغلبية المطابقة لشخصية البطلة مكانًا معاد كما هو واضح في مدينة باريس.

**الكلمات المفتاحية:** رواية طشاري، المكان الأليف، المكان المعادي، الانعكاس السيميولوجي.

**المقدمة**

قبل الولوج في بحثي الموسوم ( المكان الأليف والمعادي وانعكاسهما السيميولوجي على رواية طشاري لإنعام كجه جه ) إنّ سبب اختياري لهذا البحث، ولرواية طشاري بالذات، يكمن في أهمية هذه الراوية من ناحية القيمة السردية لها؛ وذلك لأن خطها السردي يسير عن طريق تدفق تيار الوعي، وبوساطة تقنية الـ flash back والذي يعتمد اعتماداً مباشراً على الانتقال بين فضاءآت سردية متعددة، وهذه الفضاءآت السردية جعلت من الأماكن المتعددة محوراً لها، أو يمكنني القول بأنّ تلك الأماكن كانت هي النواة الرئيسة التي تتمحور حولها بقية العناصر المكونة للنص السردي ونقصد بها الزمان والشخصيات، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر إنّ الشخصيات هي من خلقت نوعية المكان من ناحية كونه مكاناً أليفاً أو معادياً؛ بل أن هذه الشخصيات بثت الروح في بعض الأماكن لتجعل منها شخصية بحد ذاتها كما هو الحال مع مدينة الديوانية في هذه الرواية، وهذا ما جعلها تنعكس سميولوجيًا على النص، مما جعل النص، وخطابه السردي يشتغل على ذاته بوساطة آلية المرايا الدلالية، وإن العلامة السيميولوجية لم تكن مجرد حامل للمعنى؛ بل أصبحت موضوعًا للتأمل وإعادة البناء داخل النص. ومن اللافت للنظر أن هذه الرواية أظهرت بعداً سوسيولوجياً مغايراً نكاد لا نرى له نظيراً في بقية الأعمال السردية للروايات العراقية على أقل تقدير، إنْ لم نقل العربية عمومًا، وهذا البعد السوسيولوجي يكمن في موضوع الهوية العامة والهوية الفرعية للشخصيات وتحديدها لنوع المكان من كونهِ أليفاً أم معادياً، وهو ما تجلى في شخصية الدكتورة وردية وهي مسيحية الديانة، جاءت إلى مدينة ذات هوية مسلمة شيعية وقد دعمت الكاتبة هذه الهوية بسمات دلالية مؤكدة لهذه الهوية، إلّا أن اللافت للنظر أن الاختلاف الديني بين المدينة والكاتبة هو السبب الرئيس في إضفاء صفة الألفة على

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 797-812

هذا المكان ليكون مكاناً أليفاً، والمفارقة بأن المكان المعادي وهو باريس هو مكان مطابق لديانة الشخصية الرئيسة كما أشارت في الرواية بأن باريس هي البنت البكر للطائفة الكاثوليكية، وأن ذهابها لاستقبال البابا في باريس لم يؤثر على نوعية المكان في باريس وعلى الرغم من أن البابا يعدّ رمزاً روحياً للمسيحيين وعلى الرغم من وجودها هناك في قصر الإليزيه وهو المكان الذي استُقبِل فيه البابا، ظلت الديوانية حاضرة في ذهن ومخيلة الدكتورة وردية الشخصية الرئيسة في الرواية!

وهنا تكمن القيمة السردية لهذه الرواية بنسيجها المُعقّد لخيوط السردِ، وبث الشبكات السردية هنا وهناك لتتحرك عجلة المكانة السردية بمرونة عالية، مما جعل الفضاء السردي فضاءً متماسكاً تتلاحم فيه العناصر السردية بقوة، لتنتج بعداً سوسيولوجيا يكاد أن يكون فريداً؛ لأنها تُسلط الضوء على قضية اختلاف البعد السوسيولوجي/ الديني- المذهبي؛ باختلاف المكان من جهة وما ينتجه من اختلافات جوهرية بنوعية المكان وانشطاره الثنائي بين الأليف والمعادي، وانعكاس هذه التحولات المكانية ذات الأبعاد السوسيولوجية على الأقليات، وتحديدها لنوع المكان كونه أليفًا، أم معاديًا، برغم اختلاف البعد السوسيولوجي فيها والذي يتمحور هنا باختلاف الهويات بين الشخصيات، ونوع المكان الذي يتلون بصبغة دينية معينة مغايرة للصبغة الدينية للشخصية الرئيسة في الرواية ونقصد بيها علاقتها بالآخر، وهذا ما ينعكس سلبًا أو إيجابًا على واقع الأقليات ومستقبلها الاجتماعي، وما يؤول إليه في النهاية على استقرارهم في ذلك المكان إن كان أليفًا، أو ما يؤدي إلى هجرتهم إذا تحول المكان إلى مكانٍ معادٍ. وهذا بالفعل ما قدّمته رواية طشاري عن طريق فضاءآتها السردية، التي تأطّرت عناصرها داخل إطار عنصر المكان وتحولاته، تلك التحولات التي رافقتها تحولات سوسيولوجية لعبت دورًا مهمًا في انعكاسها على واقع الأقليات الدينية في العراق والمتمثلة بواقع الشخصيات المسيحية التي مثلت شخصية الرمز لكل الأقليات في هذا البلد الذي تميز بتلون أطيافه الدينية والعرقية والطائفية. ولهذا يتناول البحث موضوع المكان بوصفه مكونًا بنائيًا ورمزيًا في الرواية، عن طريق دراسة ثنائية المكان الأليف والمكان المعادي في رواية «طشاري» لأنعام كجه جي. وتكمن أهمية هذه الثنائية في قدرتها على كشف علاقة الشخصية الروائية بالفضاء الذي تتحرك فيه، وكيف يتحول المكان إلى انعكاس نفسي واجتماعي وثقافي. ومن ثم انعكاسه السيميولوجي. كما يسعى البحث إلى إبراز البعد السوسيولوجي للمكان وتمثيل مدينة الديوانية بوصفها مكانًا أليفًا يحتوي شخصيات مسيحية ويمنحها شعور الانتماء، في مقابل أماكن أخرى تمثل فضاءآت اغتراب.

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد نظري يوضّح المفاهيم الأساسية، يليه ثلاثة مباحث: الأول بعنوان المكان الأليف في رواية طشاري، والثاني تحت مسمى المكان المعادي في رواية طشاري، والثالث هو الانعكاس السيميولوجي للمكان الأليف والمعادي على الرواية. وينتهي البحث بخلاصة تستعرض النتائج التي توصّل إليها البحث، ومن ثم قائمة بالمصادر التي اعتمدت عليها في البحث.

**التمهيد:**

يشكّل المكان في الرواية أحد الأعمدة البنائية الأساسية، إذ لا تقتصر وظيفته على كونه خلفية للأحداث، بل يتعدى ذلك ليصبح حاملًا للرموز والدلالات النفسية والاجتماعية والثقافية. وقد تطور حضور المكان في السرد الروائي العربي الحديث، فانتقل من كونه إطارًا وصفيًا إلى عنصر ديناميكي فاعل في تشكيل الوعي، وإعادة بلورة العلاقة في قوالبٍ معينة بين الشخصيات، إذ يُعدَّ الأرضية الصلبة التي يمكن أن يتماسك عن طريقها العمل الروائي كله، ولهذا استطيع القول بوضوح المكان يتضح الزمن الروائي[1]، ومن هنا ظهرت أهمية المكان في الرواية إذ ظهرت عليه سمات الشخصية الحية، ولم يعد إطارًا تتصارع بداخله الشخصيات أو مسرحًا تجري فيه الأحداث فحسب؛ بل يتم تحديد أدوار الشخصيات بوساطة ارتباطها العميق بالمكان[2] **" وهذا ما يؤكد كيف أن للمكان القدرة على إعطاء حياة خاصة لكل عناصر الرواية "**[3].

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 797-812

فالمكان لا ينعزل عن العناصر السردية المتبقية، ولكنه يلج في علاقات عدّة مع بقية العناصر الحكائية التي يتكون منها السرد؛ مثل الشخصية، والرؤية السردية، والحدث، إلى آخره، وإذا قطعنا الصلة بينه وبين تلك العناصر، دون تسليط الضوء على وفق هذه العلاقة التي يقيمها بينه، وبين هذه العناصر؛ سيكون من الصعب فهم الدور الوظيفي للنص الذي يقوم به الفضاء الروائي داخل العملية السردية[4]، **" وتأسيساً على ذلك يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر الي تتضامن مع بعضها البعض لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث "**[5]

وهذا بالفعل ما سنشاهده في رواية طشّاري، وكيف أنها بثت حيوات عدّة في الأماكن، ولا سيّما مدينة الديوانية التي كانت القلب النابض لتلك الرواية، وهذا الشيء ليس جديدًا على الفن الروائي؛ إذ إن **" الرواية أفضل من يغازل المدينة ويكشف أوراقها ويعري ما كان مدفوناً تحت ترابها وخلف مراياها المخادعة، الرواية خارطة المدن "**[6]

ويعد غاستون باشلار من أبرز من كتب في المكان بوصفه حيزًا حميميًا، فاعتبر أن **"المكان الذي نحبه لا يُمكن أن يبقى مكانًا لا مباليًا، فهو مكان نحيا فيه جسديًا، لكنه يحيا فينا نفسيًا"**[7] وعليه، فإن التمييز بين المكان الأليف والمكان المعادي ينبثق من علاقة الشخصية بالمكان، فإذا كان يمنحها شعورًا بالدفء والأمان والانتماء، عُدّ مكانًا أليفًا، أما إذا سبب لها شعورًا بالغربة أو الخوف أو الرفض، فهو مكان معادٍ. وقد توسع الباحثون في ربط هذه الثنائية بالبعد السوسيولوجي، معتبرين أن تفاعل الشخصية مع المكان يتأثر بهويتها الثقافية والانتمائية، وبالسياقات السياسية والاجتماعية التي تفرضها السلطة أو الجماعة[8]. وفي رواية "طشاري" يتجسد هذا التفاعل بوضوح عن طريق سيرة الدكتورة وردية التي عاشت تحولات جذرية في أماكن عدّة، عكست شعورها بالمكان سواء كان مكانًا أليفًا أو معاديًا. كما يشير عبد الحميد بورايو إلى أهمية المكان في تشكيل الفضاء الدلالي للنص، ويرى أن تحليل مكونات الفضاء الروائي يكشف البنية العميقة للعلاقات الاجتماعية والرمزية[9]، وهو ما يجعل من دراسة المكان في رواية "طشاري" مدخلًا لفهم العلاقة الجدلية بين الشخصية والمكان ضمن سياق عراقي متحول. وهذا ما لمحناه من الانعكاس السيميولوجي على النص السردي لهذه الرواية، حيث جعل النص يعيد تمثيل بنيته السيميائية والخطابية في صورة انعكاسية تكشف كيفية توليد المعنى، وعن وعي النص، كونه نظام علامات لا محض مرآة للواقع.

**المبحث الأول: المكان الأليف في رواية طشّاري**

يُعدُّ المكان الأليف في رواية «طشّاري» للكاتبة إنعام كجه جي تجليًا سرديًا عميقًا لتجربة الاندماج والتجذّر في فضاء مكاني جديد على البطلة، الدكتورة وردية اسكندر، إذ يتجاوز المكان في هذا السياق بعده الجغرافي ليغدو حاضنًا عاطفيًا واجتماعيًا وثقافيًا؛ تتفاعل فيه الشخصية الرئيسة وتُعيد تشكيل ذاتها وانتمائها. فلو دققنا النظر في البنية السردية للرواية؛ لوجدنا أن المكان الأليف فيها أصبح بمثابة شخصية حيّة بُثت بداخلها حيوات عدّة، وشكلت هويةً جديدةً للشخصيةِ الرئيسةِ، إذ تُمثل مدينةُ الديوانيةُ هذا الإنموذج الفريد للمكان الأليف، حيث نُسِجَ حضورها في الرواية عن طريق مؤشراتٍ سوسيولوجية وسرديةٍ متضافرة رسّخت مكانتها على أنّها ملاذٍ حميمي وآمنٍ في ذاكرة البطلة، يهبها الدفء والطمأنينة، وهذا ما جعل الديوانية ترافقها في باقي تحولاتها المكانية، تلك التحولات التي رافقتها تحولاتٌ عدّة، ومتفرعة من ناحية النوع لتلك الأماكن.

منذ البداية، يكشف السرد عن التوتر الذي رافق انتقال الطبيبة المسيحية وردية إلى الديوانية بعد تخرجها في كلية الطب في بغداد، إثر تعيينها هناك ضمن نظام التوزيع المركزي. إذ لم تكن تعرف شيئًا عن الديوانية سوى موقعها الجغرافي كما ورد في كتب الجغرافيا **" لم تعرف عنها أكثر مما تعلّمته في كتب الجغرافية "**[10]، وهي المسيحية الآتية من بغداد، وذات الأصول الموصلية كما هو

واضح من هذا النص **" وهي الغريبة الآتية من بغداد، وفوق هذا ليست من أمة محمد "**[11]. لكن استقبال أهالي الديوانية لها، كما ورد في الرواية، كان على درجة عالية من الحفاوة والاحتضان جعلها تعيش حياة أخرى وبهوية فرعية جديدة؛ تضفي عليها طابع الانتماء لتلك المدينة في نهاية الأمر **" لم يخطر على بالها أن تجد في استقبالها على الرصيف، وفداً من الأطباء والصيادلة والموظفين المحليين . رجال لم تسمع بأسمائهم، ساقتهم شِيَمُهم للترحيب بها بعد أن عرفوا أنها ستصل إلى الديوانيّة، غريبة بقطار الليل ... كانت خائفة ومحتصرة ... ثم تبددت الوحشة وهي تجد نصف وجهاء المدينة ينتظرونها في المحطة ..."**[12] وهو ما مهّد الطريق لتكوّن رابطة وجدانية عميقة مع هذا المكان، والذي بدوره جعل من تلك الدكتورة المسيحية تذوب سوسيولوجيًا في المدينة، فلا يمنع الاختلاف الديني من جعلها تتحرك داخل الإطار الاجتماعي هناك، فتحترم عاداته وتقاليده، وتؤمن بمعتقداتهم الشعبية، من دون المساس بهويتها الأصلية كونها مسيحية إذ تشير بعض النصوص كيف أن الدكتورة وردية تبقى ملتزمة بإيمانها المسيحي وصلواتها كما سيخبرنا به هذا النص الذي يكشف هويتها الحقيقة ويبين إنها مسيحية ملتزمة بطقوسها المسيحية **" تقوم الصبح وتشعل شمعةً أمام صورة العذراء "**[13]، وهذا ما جعلها تشعر بالانتماء لتلك المدينة، التي فرضت عليها هيمنتها المكانية؛ بل إنّ الديوانية التي قلت عنها فيما سبق قد تحولت إلى شخصية بُثت فيها الحيوات إذ تحولت الديوانية إلى شخصية خارجة عن طورها المكاني والسوسيولوجي وأصبحت شخصية تشبه شخصية الدكتورة وردية وهذا ما يبنه وصفها للمدينة **" مدينة هادئة ومتقشّفة ومحافظة تشبه شخصيتها، مضت إليها أول ما مضت، بكثير من التهيّب وكأنها تنهض من مهد ميلادها وتسير إلى نعشها. كل ما عاشته قبل الديوانية قشرة بصل، وكل ما ستعيشه فيها سيمدّ جذوراً ويرسخ وينمو "**[14] الأمر الذي يجعل من الديوانية مسقطاً لقلبها كما يوجد هنالك مسقطاً للرأس **" وهي ستؤرخ لهذا المكان مسقطاً لقلبها سماءً لطيفة حنت عليها ومنحتها الكثير من القليل الذي تملك "**[15].

ربما اجتمعت ظروفٌ موضوعية متشابكة فيما بينها لتكوّن كل هذه الشبكات المتعاضدة والمتضافرة مع بعضها البعض لتضفي ألفة وحميمية داخل مخيلة الدكتورة وتبقى متألقة في ذاكرتها، لتدفع بوتيرة السرد إلى الأمام، عن طريق الاسترجاع المستمر؛ والذي يعمل بمقارنة خفية بين المكان الأليف المتمثل بالديوانية، والمكان المعادي المتمثل ببغداد بعد سقوطها على يد الأمريكان، وباريس التي هاجرت إليها قسرًا بعد خراب بلدها. إنّ أهم سمات المكان الأليف/ الديوانية التي ميزته عن بقية الأماكن وبرغم من اختلاف المكان الديني كونه مكانًا ذا هوية شيعية والذي ستقارنه بالمكان المعادي/ باريس والذي يعد مكاناً مسيحيًا ومسقط رأس الكاثوليكية، نجد أن السمة المميزة للمكان الأليف المتمثل بالديوانية أنّه وهبها صفة الشعور بكونها ملكة أشبه بملكة الأنكليز، لما قدمه لها هذا المكان من حفاوة كبيرة وشعور مفعم بالاحترام و التقدير، وهذا ما نطق به هذا النص **" يرحبون بها وكأنها إليزابيث ملكة الإنكليز "**[16] فيما تنقل بعض المشاهد السردية صورة الاحترام الكبير الذي يقدمه لها أهل الديوانية حينما تمشي الدكتورة في شوارع الديوانية **" تتجوّل في الأسواق بمعطفها الأخضر ... ينهض الباعة احتراماً ويفسح الصبية وأصحاب عربات الحِمل لها الطريق. تمرّ من أمام مقهى شعبيّ فيخفت الضجيج وتمتدّ يد إلى الراديو لتخفض الأغنية. يتوقف الزبائن عن لعب النرد وتلتفت الرؤوس نحو الشارع. تجمد الأصابع على استكانات الشاي وتلبد لفافات السكائر بين الشفاه. يتهامسون: هاي هي الدختورة الجديدة "**[17] الديوانية بوصفها مكانًا يفرض هيمنته المكانية والسوسيولوجية، جعل من الشخصية الرئيسة تتأطر بإطار المدينة مع الاحتفاظ بهويتها العامة – ونقصد الهوية المسيحية - وهذا ما يوضحه التقاء الدكتورة بالعلوية شذرة ونيلها بركاتها في بداية مشوارها الوظيفي، كما هو متعارف هناك، وكما هو واضح في النص هذا **" نالت الدكتورة الشابة البركة وتناولت العلويّة من صحن الفاكهة تفاحة قشّرتها بيدها، وقدّمتها إلى ضيفتها. تبسمّت لها**

**وتمنت لها الرزق والتوفيق ... كان من حظ ورديّة أن العلويّة شذرة ارتاحت لها ووثقت بها "**[18] وهذا ما يعزز الشعور المفعم بالحب والدفء اتجاه المكان، ويجعلها تتحرك داخل إطاره الاجتماعي بعفوية، واحساس بأنها تعيش بين أهلها، فالألفة هنا لا تقتصر على الشعور بالأمان أو الحماية فحسب؛ بل تمتد إلى تمثّل اجتماعي حقيقي، تمثّل يُترجم إلى تكويّن علاقات إنسانية ومعرفية، أبرزها تعرّفها على الطبيب جرجيس، إذ تتزوج ورديّة من جرجيس الطبيب الذي جاء منقولاً من السماوة ، وتنجب اطفالها هناك، وانتقال علاقتها به إلى رباط زواج، ثم إلى تأسيس أسرة. وتبلغ العلاقة ذروتها حين تصف الديوانية بأنها أكثر من مجرّد مدينة: **"كل ما عشته قبل الديوانية قشرة بصل، وكل ما ستعيشه فيها سيمد جذوراً ويرسخ وينهض ويتفرع ويخضوضر"**[19]. هذا الاقتباس لا يوثق فقط درجة التصاقها بالمكان، بل يُظهر إعادة تعريفها لذاتها عن طريق تجربة الحياة فيه.

وعن طريق هيمنة المكان وانعكاسه السوسيولوجي في الرواية؛ يتجلى البُعد الشيعي للمدينة بوصفها مكوناً سوسيولوجياً لم يُلغِ انتماء وردية الديني المختلف، بل على العكس، أضفى على تجربتها طابعًا من الانفتاح والتسامح، ومبادرة الآخر المختلف طقوسهم ومعتقداتهم، واحترامها والإيمان بها أيضاً فكما يرد في النص: **"العباس أبو راس الحار ليس غريبًا عليها، ولا باقي الأئمة والأولياء الذين يتبرك بهم الأهالي"**[20]. وهذه الإشارات تبرز كيف أن البيئة الشيعية لم تشكل عائقًا، بل كانت سياقًا مندمجًا في هوية وردية الجديدة.

إنّ المكان الأليف في الرواية يُبنى كذلك بوساطة الحنين المستمر الذي تحمله الشخصية، حتى بعد مغادرتها المدينة. ففي باريس، حيث تعيش وردية لاحقًا، لا تنفك الديوانية عن الحضور في ذاكرتها، كما يظهر في مشهد قصر الإليزيه: **"رفعت رأسها تتأمل الثريات والنقوش الذهبية... وتمنت لو أن زوجها جرجس معها، لو جاء أهالي الديوانية الذين تعرفهم"**[21]. بهذا المعنى، يغدو المكان الأليف فضاءً ذا طاقة استرجاعية توازي الحنين إلى الجذور.

لا تقتصر الألفة على وردية وحدها، بل تمتد إلى أبنائها. فابنها برّاق، مثلًا، يشارك في مواكب عاشوراء، رغم كونه مسيحيًا: **"يمشي على إيقاع الأصوات وقرع الصدور، وتشير له أيدي النساء الواقفات: شوفوا ولد بشعر أشقر يتدلى من عنقه صليب ذهبي... يمشي مع أصحاب الرؤوس المدمّاة"**[22]. كما أن ابنتها هندة ترضع من شرارة ابنة بستانة وهن نساء مسلمات من الديوانية[23] بعد أن جفّ صدر امها الدكتورة وردية، ما يرسّخ العلاقة بين الأسرة والمكان اجتماعيًا وثقافيًا.

وبناءً على كل ما سبق، يتبيّن أن المكان الأليف والألفة في «طشّاري» لا تُختزل في تقبّل مؤقت للمكان، بل تنبع من اندماج عميق، واستجابة وجدانية، وشبكة علاقات تجعل من الديوانية مركزًا للمعنى، ومكانًا مضادًا للشتات والغربة. لذلك تضع الكاتبة هذا المكان لا بوصفه خلفية للأحداث، بل بوصفه شخصية سردية قائمة بذاتها، لها فاعليتها في تشكيل هوية البطلة.

**المبحث الثاني: المكان المعادي في رواية طشاري**

كما هو معروف أن المكان المعادي هو فضاءٌ جغرافيٌ، أو فضاءٌ اجتماعيٌ، أو الرمز الذي تواجه فيه الشخصية الروائية نوعاً من القهر أو الاضطهاد أو الاغتراب، الذي ينتج بسبب سياسية معينة، أو بنية سوسيولوجية معينة، أو اختلاف ثقافي، أو حتى اضطراب داخلي ذاتي، والمكان المعادي لا يُختزل في كونهِ مسرحًا خارجيًا للأحداث؛ بل يتخذ طابعًا ديناميًا يتفاعل مع الشخصية، ويؤثر فيها، وفي مسارها السيكولوجي. ويظهر المكان المعادي في النصوص الروائية؛ بصفته ضاغطًا وطاردًا، وحتى مهددًا لوجود الشخصية وكيانها، إذ يساهم في تأجيج وإشعال الصراع الداخلي والخارجي فيها، ونجده في أغلب الأحيان يشكل مرآةً لانكسار الذات وانقسامها، عن طريق إعادة تشكيله رمزيًا، ويتجلى ظهوره في الأعم الأغلب؛ مرتبطًا بتجربة المنافي، والتهجير القسري الناتج عن الصراعات الدينية والعرقية والقومية والسياسية التي تنتجها الحروب، وكذلك يتجلى أيضاً

بشكلٍ لافت في السجون، أو بأي شكلٍ من أشكال الاضطهاد، وهذا ما يجعله على طرف نقيض من المكان الأليف. ليصبح مفهومًا مركزيًا في الدراسات النقدية التي تتناول مسألة المكان في الدراسات السردية عمومًا، وفي النقد الروائي الذي يسلط الضوء على تجارب التشتت والتشظي والهجرة وقضية الاقتلاع من الجذور، لكونه المعيار الرئيس الذي يُظهر حجم الصراع و الأزمة بين الإنسان ومحيطه وبيئته، أو التوتر والصراع بينه وبين الآخر الذي يُسيطَر عليه من ناحية الأغلبية على الفضاء الجغرافي الذي يعيش به، وكذلك يظهر حجم الصراع بين الانتماء والاغتراب داخل الشخصية والذي ينتج بسبب الصراعات المحيطة به **" فالمكان المعادي ليس مجرد إطار خارجي للحدث، بل هو فاعل رمزي يُجسد البنية القامعة التي تُهدد استقرار الشخصية الروائية، وتدفع بها نحو العزلة أو التمرد أو الضياع "**[24]

وعلاوة على ما قلته سابقاً نجد أن المكان المعادي في رواية «طشاري» يمثل تجليًا صارخًا لانكسار الذات، واغتراب الروح، وتحوّل الجغرافيا التي تعيش فيها الشخصية الرئيسة ( الدكتورة وردية إسكندر ) إلى تهديد وجودي. فالمكان المعادي لا يُحيّلُ إلى فضاءٍ طبيعي أو سياسي بعينه، بل يتجاوز حدوده ليمثل الشعور بالنبذ أو القطيعة أو العنف الرمزي أو المباشر الذي تتعرض له الشخصية في سياق الرواية. ولعل أبرز تمثلات المكان المعادي في الرواية يمكن تحديدها في ثلاثة فضاءات: بغداد بعد الاحتلال الأمريكي، باريس بوصفها مكان اغتراب لا تستقر فيه الذات، والمقبرة الإلكترونية بوصفها رمزًا للمحو واللا- انتماء. تمثل بغداد التحول الأكبر في رواية طشاري من مكانٍ أليفٍ إلى مكانٍ معادٍ في وعي الدكتورة وردية. فبغداد التي كانت في يومٍ من الأيام مركز دراستها الجامعية والبيت الذي عاشت فيه أيامًا جميلة بعد انتقال أهلها من الموصل إلى بغداد وبعدها ليتم قبولِ ابنتهم في كلية الطب في جامعة بغداد، وكذلك يمثل ذاكرتها المهنية، تتحول بغدادُ تدريجيًا إلى مدينةٍ طاردةٍ ومخيفة، ومدينة مُهدِّدة، مُفعمةٌ بالرعبِ والعنفِ والموتِ المجاني. إذ مع اشتداد الصراع الطائفي وظهور الجماعات المسلحة وتفاقم الوضع الأمني، لم تعد العاصمة مكانًا للحياة، بل باتت مرتعًا للموت والخطف والتهديد. هذا الانهيار القيمي والسياسي لبنية المدينة ينعكس على شخصية الدكتورة وردية بعد أن لاحظت ذلك التحول المخيف في المدينة بعد الاحتلال الأمريكي لمدينة بغداد، إذ تحولت بغداد الجميلة إلى مكبٍ للنفايات، ومدينة تضج بالموت والقتل والإرهاب، وتشتعل بنار مفخخات الرعب والجحيم مثل ما وصفتها في الرواية **" بغداد الجديدة التي كانت من أبهى أسواق العاصمة فيما مضى، قبل أن تتحوّل أسواقها إلى مزابل ومياه آسنة... تخلت ورديّة عن عيادتها حين لم تعد تأمن على روحها هناك. دخل الأمريكان وملأت أرتالهم الشوارع فسادت الفوضى، بدل النظام، واشتدت الريح الصفراء. قل لي ما هو مذهبك اقل لك من أنت. تجري الأيام وتبدأ الاغتيالات في العيادات وأمام البيوت ... "**[25]، لقد أصبحت بغداد مكاناً لا يصلح للعيش، وإن كانت الدكتورة لا تخاف من التهديد والقتل، إلّا أن التهديد من قبل الجماعات الإرهابية لم يقتصر عليها، فقد بعث أمير الجماعة الإرهابية ورقة تهديد لها مطالبًا إياها بتسليم ابنتها ياسمين له لكي يتزوجها كما هو واضح من هذا النص **" رسائل التهديد التي كانت تُرمى من فوق السياج. يجدونها في الصباح مثل طائر ميّت ملقى على الثيّل الأخضر المعتنى به. ( السلام على من اتبّع الهدى، أما بعد، فعندكم عشر أيام لتنفيذ هذه الفتوى وإعطائنا بنتكم لأمير جماعتنا أو أن نذبحكم كلّكم ونأخذ بيتكم يا كفّار وإلى جهنم وبأس المصير ) عثر غسان الفلسطيني على الورقة وسلّمها إلى وردية ... قرأتها وانعقد جبينها وطلبت منه ألا يخبر ياسمين بالأمر "**[26] وهنا بدأت نقطة التحول، إذ تحولت بغدادُ إلى مكانٍ معادٍ يهدد أمن الدكتورة وأمن عائلتها، فبدأت العائلة تتشتت في أنحاء العالم، أما نفور الدكتورة من بغداد فلم يكن بسبب خوفها من الخطف، أو القتل والتنكيل، ولكنها أوضحت السبب الرئيس لقرارها بالهجرة وترك بغداد والعراق كله، والسبب هو **" وحتى تلك الوريقة المجعّدة**

**الملفوفة على حصاة كبيرة والملقاة في حديقة الدار كانت أتفه من أن تخيفها. إنّ ما أخذها إلى فرنسا هو اليأس والقرف "**[27] إذن تحولت بغداد إلى قرف، فالقرف واليأس الذي حاصر الدكتورة هو من حول بغداد إلى مكانٍ معادٍ، واجبرها على الرحيل إلى فرنسا وترك ذكرياتها الجميلة في الديوانية وغيرها. فقد كانت في الديوانية تعيش كأنها الملكة إزابيث، والآن أصبحت في بغداد تتلقى تهديدًا صريحًا في عيادتها، فتضطر لإغلاق عيادتها والمغادرة، إنّ لحظة الإغلاق هذه تمثل لحظة الذروة في انكفاء المكان المعادي، حين يُسلَب الإنسان مكان عمله وذكرياته ويُجبر على الفرار.

وإذا كانت بغداد تمثل مكانًا معاديًا نتيجة التهديد الخارجي المباشر، ونتيجة اليأس والقرف من كل شيء فيها، فإن باريس تمثل المعاداة من نوع آخر: معاداة الصقيع الثقافي والروحي، حيث يَغْتَرِب الجسد وتَتَيَبَّس الروح. فرغم أن باريس، من حيث الشكل، تمثل فضاءً حداثيًا منفتحًا ومتقدمًا، إلا أنها على مستوى تجربة وردية الشخصية مكان لا يحتضنها. فاللّقاء مع البابا، رمز الطائفة الكاثوليكية ورغم كونها مسيحية، لم يكن مبهرًا، ولم يترك أثرًا نفسيًا فيها. تقول الرواية: **" لم تقبّل اليد الخزفية بل اكتفت بابتسامة ومصافحة واهية وبدون كلمات "**[28]. في ذروة هذا اللقاء الديني السياسي، كان ذهن وردية مشدودًا إلى الديوانية، المدينة الفراتية التي احتضنتها، فتقارن القصر بالمدينة وتتمناه لأحبّتها لا لنفسها. هذا التداعي يفضح المسافة الشعورية التي تفصل الشخصية عن المكان الجديد. فكل شيء أصبحت تقارنه بالديوانية مهوى قلبها، وعليه يتحدد نوعه إنْ كان أليفًا أم معاديًا. ويُعمّق من غربة وردية في باريس المشروع الرمزي للمقبرة الإلكترونية، الذي يشكّل التجلي الأقصى للمكان المعادي. فالموت في الغربة، دون قبر، دون تراب، دون طقوس، هو نفي تام للجسد والهوية والانتماء. المقبرة الإلكترونية ليست فقط تعبيرًا عن الانقطاع الفيزيائي والمادي عن الوطن، بل هي إعلان عن الانقطاع الأنطولوجي عن فكرة الدفن ذاتها. فوردية، التي عملت طبيبة لأكثر من ثلاثين عامًا، لا تجد لنفسها مكانًا لائقًا للدفن في وطنها، بل مجرد رقم على شاشة إلكترونية. تقول الرواية: **" شوفي عمّة. مقبرة إلكترونية يمكنك أن تنامي فيها بجوار من تحبّين. رأت شواهد رخاميّة تتوزع بين أشجار خضراء، صلباناً من رخام وخشب وذهب ... وضعت السمّاعتين فسمعت موسيقى ناعمة تتناغم مع حركة فأرة الكمبيوتر .. "**[29] كان لا بد من مقبرة إلكترونية تحفظ أسماء من ماتوا دون أن يُدفنوا. هذه المقبرة ليست مجرد مكان جديد، بل اختزال لمعنى الحياة إلى ترقيم افتراضي، ورفضٌ لأن يكن للموت قداسة أو مكان محسوس. وعليه، فإن المكان المعادي في «طشاري» يتجاوز أن يكون مجرد فضاء مادي. هو فضاء نفسي وثقافي وسياسي، يحكم على الشخصية بالانفصال والتشظي. في بغداد، تم طردها بالعنف. في باريس، نُفيت بالبرود. وفي المقبرة الافتراضية، أُلغيت تمامًا من الوجود الفيزيائي والمادي. كلُّ ذلك يجعل من هذا المبحث تعبيرًا عن التحول الجغرافي إلى جهاز قمع رمزي، وعن جغرافيا تغدو ضد الإنسان، بعد أن كانت له وطنًا.

**المبحث الثالث: الانعكاس السيميولوجي للمكان الأليف والمعادي على الرواية:**

نقصد بالانعكاس السميولوجي، إعادة تمثيل العلامة أو الخطاب داخل خطاب آخر، بحيث يعاد إنتاج البنية الدلالية في مرآة نصية أو خطابية تكشف مستوياتها العميقة، أو تعيد قراءتها في ضوء أنساق جديدة. وهذا الكلام يمكن تفصيله على وفق الإطار النظري للمصطلح.

فالانعكاس السيميولوجي عند رولان بارت يصبح ميتالنص Meta – texte، أي إنّه نص يعكس آليات اشتغال الدلالة نفسها، ويجعل القارئ واعيًا بأن الخطاب علامة مفتوحة وليست طبيعة بديهية، ولهذا فأن رولان بارت يعبّر عن ذلك في عناصر السيميولوجية بأن النص قد " ينقلب على ذاته ليكشف عملياته الداخلية "[30]. أما عند غريماس؛ فالانعكاس السميولوجي يفهم ضمن إطار مايسميه بـ ( الميتاسيميائيات ) حيث يعاد إنتاج البرنامج السردي أو البنية العاملية داخل نص آخر بوصفه صورة انعكاسية، فتظهر عملية توليد المعنى بوصفه موضوعًا داخل نص[31]. ويعرّف الدكتور

يوسف وغليسي هذه الظاهرة على أنها " اشتغال النص على ذاته أو على غيره من النصوص بإعادة إنتاج البنية الدلالية على نحو انعكاسي "[32]. ولهذا فأن الانعكاس السيميولوجي ليس مجرد إحالة متبادلة بين النصوص؛ بل له وظيفة نقدية تتمثل بكشف وعي النص بذاته، بوصفه منظومة علامات وهذا ما يتيح للباحث تفكيك العلاقة بين العلامة والدلالة والإحالة[33]، وكذلك يسمح بمقاربة النصوص من زاوية ما وراء السيميائيات Meta – semiotics ، أي دراسة الكيفية التي يعبر بها النص عن اشتغال العلامات بداخله. ولو عدت إلى رواية طشاري، سنرى أن الكاتبة قد توكأت على الانعكاس السيميولوجي عن طريق جعلها فعل الكتابة موضوعًا داخل النص، القائم على الأزواج الثلاثة من المقولات السردية[34] وهذا ما نلاحظه بتجلي بوساطة التحليل التطبيقي للبحث والذي انقسم على قسمين هما:

**أولا. الانعكاس السميولوجي للمكان الأليف:**

أظن أن أهم ما يميز هذه الرواية؛ هو اللعبة السردية القائمة على انعكاس الأماكن السيميولوجي فيها، إذ عمدت الكاتبة بتشفير الأماكن بسيمات دلالية، مما جعل تلك الأماكن مشحونة بعلامات سيميولوجية عدّة، ومن ثم قامت بإسقاط تلك الأماكن المشحونة سيميولوجيًا على الأفق السردي للرواية، وهذا ما ولّد انعكاسًا سيميولوجيًا، قائمًا على تشغيل العلامات التي شُحنت بها الأماكن القائمة على ثنائية المكان الأليف والمعادي الذي تناولته في المبحثين السابقين، مما ولّد خطابًا آخرًا داخل الخطاب السردي. وهذا ما يتطلب فك شفرات هذا الخطاب المستتر وراء الخطاب السردي، وفك شفراته لا يكون إلا بتحليل السيمات sem إذ يعدّ السيم sem بحسب غريماس هو "وحدات دلالية دنيا"[35]، وهذه السيمات الدلالية تقسم على أنواع بحسب غريماس[36]، والذي يهم في هذا البحث، نوع السيم sem الرئيس الذي ظهر واضحًا في هذه الرواية عن طريق عملية التحليل، إذ وجدته ينتمي إلى نوع السيمات الصورية، والتي عدّها گريماس " تمفصلات الأنظمة الحسية، والخاصيات المحسوسة للعالم "[37] وما يميز هذه السيمات، أنها منظمة على شكل بنيات مورفيمية نتجت عن التمفصلات الإدماجية للسيمات، وعندما اخضعت الرواية للتحليل عن طريق المختبر السردي، نجد أن المكان الأليف تكون من عدّة بنيات مورفيمية تحمل بداخلها سيمات صورية، وقبل أن ننتقل إلى العلاقة الاتباعية الناتجة عن هذه البنيات المورفيمية، ونقصد بها تلك المواضيع الجديدة المبطنة داخل الخطاب المضمر، لابدّ في البداية أن نستخرج تلك السيمات الصورية من الرواية.

عن طريق نظرة تحليلية فاحصة للرواية؛ وجدتُ أن مجموع السيمات الصورية التي تكوّن منها الخطاب المضمر كانت متناثرة على طول خط الأفق السردي للرواية، وكانت متظافرة في البنية المورفيمية للمكان الأليف، فإذ قمتُ بعزل ما كان متمحورًا في المكان الأليف، وما كان متمحورًا في المكان المعادي. ومن مفيد القول أن هذه السيمات الصورية كانت منتظمة على وفق أفق زمني مُعين يسير بصورة متوازية باتجاه المسار السردي، فمثلا السيم الصوري الأول يبدأ من لحظة نزول الدكتورة وردية من القطار الذي استقلته من بغداد إلى الديوانية، فبعد أن كانت مع أختها كمالة في القطار المتجه من بغداد صوب الديوانية **" متوترة وخائفة ومحتصرة، تلتصق بكتف كمالة "**[38] ، نلاحظ أن السيمات الصورية سرعان ما تندلق اندلاقًا على خط الأفق السردي، تحت بنية مورفيمية تحمل صورة استقبال أهالي الديوانية للدكتورة المسيحية وردية التي سرعان ما انعكس عليها وتبدد خوفها **" ثم تبددت الوحشة وهي تجد نصف وجهاء المدينة ينتظرونها في المحطة "**[39]، فهذا هو السيم sem الأول، وبعدها تأتي سيمات متتالية مثل **" لم تر وردية وجهًا مألوفًا بين الذين وقفوا يرحّبون بها حال نزولها من القطار. ولم يخطر على بالها أن تجد في استقبالها على الرصيف ... رجال لم تسمع بأسمائهم، ساقتهم شيمهم للترحيب بها بعد أن عرفوا أنها ستصل إلى الديوانية غريبة بقطار الليل "**[40] فلم يكن هذا النص الآنف الذكر؛ إلّا تكثيفًا سيماتيًا صوريًا، فهو يقسمهم على

صورتين؛ الأولى هي صورة استقبال أهل الديوانية غير المتوقع من قبل الدكتورة وردية، والصورة الثانية هي الصورة النوعية لرجال الديوانية الذين تملأهم الخصال الحميدة؛ وذلك بسبب استعمال الكتابة لعبارة ( رجال لم تسمع بأسمائهم ساقتهم شيمهم ) فاستعمالها لكلمة (شيمهم) أعطى صبغة نوعية للنسيج الاجتماعي في الديوانية. ومن ثم تتجه السيمات الصورية في الرواية إلى تمفصلاتها الحسية التي وصفها گريماس وما بها من خاصيات محسوسة للعالم[41] كما سنلاحظه في هذا الاقتباس **" كيف لم تعرف أن شمس الديوانية ربما تحتوي مرهمًا للفراق وأن دموعها ستجف بأسرع مما تصوّرت ؟ "**[42]. فالصورة الحسية للسيمات Seme تتوهج بدفئها المنبعث من حميمية وألفة المكان. وهذا ما انعكس على أفق التوقع السردي، إذ عملت هذه السيمات الصورية الحسية على كسر أفق التوقع داخل النص، ومنحته حركة دينامية كبيرة تدفع المتلقي للانسياق وراء التدفق السيماتي الصوري الحسي، إذ تعمل هذه السيمات الصورية على قدح شرارات الفضول داخل مخيلة المتلقي لكي يعرف أين سيصل اندلاق تلك السيمات قبل أن يتشكل الخطاب الجديد. فما أن يتوهج سيم صوري حسي داخل النص حتى يتبعه سيم صوري آخر يزيد من زخم تلك الحركة الدينامية كما هو الحال في هذا النص **" ذهبت لكي تمضي سنة واحدة، إثني عشر شهرًا يلتزم بها الخريجون الجدد خلالها بالخدمة في الأرياف. لكنها بقيت لأكثر من ربع قرن وغادرتها وهي في سن الكهولة "**[43] لقد عمل هذا النص على اشتغال السيمات الصورية الحسية لتعزيز كسر أفق التوقع السردي، وهذا ما يجعل النص مخالفًا لتوقعات المتلقي، وهو قد انعكس على أفق توقع الشخصية الرئيسة نفسها، التي كان يدور بداخل حوارها الداخلي مع الذات، فبعد أن توقعت تلك الطبيبة المسيحية الشابة التي تخرجت لتوها من كلية الطلب، بأن خدمتها في الديوانية لا تدوم لأكثر من سنة، لتجد نفسها أكملت خمس وعشرين عامًا فيها، فبعد أن دخلتها وهي في مقتبل العمر، خرجت منها وهي في سن الكهولة. ولا يتوقف تدفق السيمات الصورية الحسية عند هذا الحد، إذ نجد المكان الأليف المتمثل بمدينة الديوانية يزخر به بكثافات عالية، ومن أكبر الأمثلة وضوحًا هو هذا النص الذي يمثل التأثير الكبير لمدينة الديوانية على حياة ومخيلة الدكتورة وردية **" لقد وشمتها المدينة وشمًا لا يشبه الريفيّات، على ذقنها أو حاجبيها أو ظاهر كفّها، بل على روحها. وهي " دگة " تحبها ولا تتمنى زوالها مع الوقت تربية إضافية لا يمكن تحصيلها من بيت أو مدرسة "**[44] فصورة سيم الوشم الذهنية التي وشمته الديوانية على روح الدكتورة وردية يزيد من قوة وتماسك البنيات المورفيمية التي نتجت عن تجمع تلك السيمات. وتضافرت سيمات صورية أخرى أفرزت بنيات مروفيمية ثانوية مثل **" وفي الديوانية ستعيش ورديّة أحلى سنوات شبابها "**[45] وهذه السيمات الصورية هي انبعاث طبيعي من طاقة المكان الأليف الذي هيمن على مخيلة الشخصية الرئيسة[46]، وقد عضّدته الكاتبة بسيم صوري آخر هو **" وفي الديوانيّة ستتعرف على الرجل الذي سيصبح زوجها وستحبّ وتأرق وتحفظ أغاني أم كلثوم وتذوق العسل الذي ما مثله عسل "**[47]. إنّ تراكم هذه السيمات الصورية التي استخرجتها من الرواية تجمعت لتكوّن مجموعة من البنيات المورفيمية، والتي ينتج عن تجمعها انعكاسًا سيميولوجيًا أسماه گريماس بالـ (السيميم Semem) إذ يحدث الانعكاس السيميولوجي للمكان الأليف عن طريق السيميم Semem[48]، لأنه ليس إلا صورة انعكاسية للسيم Sem وهذا ما ولّد مسارًا سيميمًا مضمرًا يتوجب استخراجه، لأنّ هذا المسار السيميمي يقوم بإنتاج سياقات خطابية أخرى.

وكما قلتُ أن هذه السيميمات Semem هي نتاج لتراكم السيم المتكثف على هيئة بنيات مورفيمية؛ آن الآوان لاستخراج هذه السيميمات التي تُشكل مواضيعًا مضمرة وراء صورة سيم Sem استقبال أهالي الديوانية للدكتورة المسيحية وردية، والذي أنتج سيميمًا؛ هو عبارة عن صورة سيميولوجية منعكسة من المكان الأليف للتعايش السلمي في مدينة الديوانية، وهذا الانعكاس قد عَمِل على تشغيل العلامة داخل النص، وتشظى إلى صور مزدوجة الدلالة قائمة على أساس البنية المكونة

للسيميم والتي قال عنها گريماس على أنها صورة معنميمة/ أي سيمية + قاعدة كلاسيمية وهذا ما يقوم بتحرير التحليل الدلالي من قيود العلامة، ويهدي إلى مضامين سيميمية شبيهة أو قابلة للمقارنة تحت أغطية مفرداتية مختلفة[49]. وإذا ما استفدنا من الحرية الدلالية التي يعطيها السيميم نجد أنفسنا أمام انفتاح لأفق التأويل داخل النص، فوجدتُ أن السيميم الذي يحمل عنوان التعايش السلمي في مدينة الديوانية، سرعان ما نجده يغوص داخل بنية عميقة في النص، وهذه البنية فتحت أفق التحليل السوسيولوجي لمجتمع الديوانية إذا ما طبقنا ما قاله گريماس صورة معنمية/ سيمية؛ وهي عبارة عن صورة استقبال أهالي الديوانية + صورة كلاسيميمة وهي عبارة عن التحليل الاجتماعي أو السوسيولوجي لمجتمع الديوانية، والذي وضعت له الكاتبة سماته الدلالية بطريقة التلميح السيميائي، ولكي تربطه بصورة إتباعية دورانية تتمحور حول صورة السيميم الرئيسة، والتي أسمينها صورة التعايش السلمي في الديوانية، وبالعودة إلى تلك العلاقة الاتباعية الدورانية نجد أن صورة السيميم قائمة على الصورة السوسيولوجية، وهي عبارة عن تقبل الآخر بين المجتمع الشيعي في الديوانية، اذ وضعت الكاتبة سمات دلالية عدّة لكي تبين نوعه الديني والمذهبي على أنه مجتمع مختلف دينيًا عنها، مثل: تعلّق الدكتورة وردية بالعلوية شذرة في الديوانية[50]، والمصطلحات الشائعة بالديوانية والتي تعلمتها الدكتورة المسيحية وردية وأصبحت ترددها وتؤمن بها، منها **" والعباس أبو راس الحار ليس غريبًا عليها، ولا باقي الأئمة والأولياء الذي يتبرك بهم الأهالي ويلهجون بذكرهم "**[51]، وكذلك صورة إحياء ذكرى عاشوراء وما يرافقها من مواكب حسينية وشعائر، وبين صورة الآخر المختلف، وهي صورة الطبيبة المسيحية، إذ بلغت ذروة ذلك التعايش حين لبس ابنها برّاق الدشداشة السوداء ومسك السلسال ولبس صليبه وشارك في موكب عزاء عاشوراء[52]، وكذلك مشاركة الدكتورة وردية نساء الديوانية في ذكرى الحسين (ع) وإقامة المآتم الحسينية **" في القرّايات تنساب دموع ورديّة بدون أزجال أو محفزات تتذكر موتاها وتبكي مع اللاطمات على الحسين "**[53]، والصورة الأخرى هي إرضاع شرارة ابنة بستانة وهي امرأة ريفية من الديوانية تختلف عن الدكتورة دينيًا لابنتها هندة[54]، وكذلك صورة تعلق هندة بمربيتها بستانة[55]. كل هذا أظهر خطابًا آخرًا داخل النص، وهو أن التعايش السلمي لا يقوم على تشابه المجتمع دينيًا، فالديوانية أظهرت مجتمعًا مغايرًا مبني على احترام الآخر، بل والذوبان به على وفق علاقة تبادلية إتباعية، اقامته المقارنة التي تكلم عنها گريماس إذ قامت هذه المقارنة على الانعكاس السيميولوجي بين المكان الأليف والمعادي . وهذا ما جعلها تبدو صورًا، تقيم عناصرها المتنوعة علاقات اتباعية[56]، أحاطت ثنائية المكان والتي باجتماعها كونت تلك العلامات التي اشتغلت على توليد الخطاب الجديد داخل الخطاب السردي للرواية، وهنا تكون العملية قائمة على علاقة تفاعلية وتبادلية في الوقت نفسه بين الأماكن وانعكاسها السميولوجي من جهة، وبين محاور الخطاب القائمة على الشحنات السيميائية، هي عبارة عن منظومة علاماتية من جهة أخرى.

**ثانيًا. الانعكاس السيميولوجي للمكان المعادي:**

يتجلى الانعكاس السيميولوجي للمكان المعادي في رواية طشاري؛ حينما تلجأ الكاتبة من جعل فعل الكتابة نفسه موضوعًا داخل النص، ومن الممكن ملاحظة ذلك بوضوح في المقاطع التي تروي فيها الشخصيات وعلى وجه الخصوص الدكتورة وردية، مأساة التشرد والتهجير، إذ يُعرض السرد لا بوصفه حكاية عن الماضي؛ بل بوصفه توثيقًا وكتابة داخل النص، وهذا التوثيق انعكس من الرمزية التي تكلمتُ عنها في المكان المعادي، فكما رأينا السيم الدلالي في المكان الأليف قد انتج بنيات مورفيمة قائمة على الصور، وهذه البنيات المتضافرة من تجمع السيمات، انتجت سيميم، هو عبارة عن سيم + كلاسيم، والسيميم هنا هو الانعكاس السيميولوجي للمكان المعادي لينتج ظاهرة الهجرة والتشظي، وأما الكلاسيم فقد غاص داخل النص ليحدد البنية السوسيولوجية للبيئة الحاضنة والمنتجة

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 797-812

لذلك المجتمع الذي حول المكان من أليف إلى معادٍ في بغداد، وكانت متمثلة بأمير الجماعة الإرهابية الذي قام بإرسال رسائل التهديد للدكتورة وردية ومطالبًا إياها بتسليم ابنتها لهم للزواج منها[57].

وقد أعاد هذا الانعكاس السيميولوجي للمكان المعادي إنتاج البنية الدلالية داخل النص، إذ أفرز ذلك المكان المعادي ظاهرة الهجرة خارج الوطن، وهذا سيميم قائم بذاته يعكس صورة التشظي للعائلة العراقية في المنفى، وهنا الرواية تستعمل المكان المعادي علامةً دلالية تعكس حال الشخصيات، ليس فقط من الناحية المكانية المادية؛ بل بوصفه رمزًا للصراع النفسي والهوية المفتتة، فحين تنتقل البطلة أو الشخصيات بين بلدٍ وآخر (من العراق إلى فرنسا وما بعده) نشاهد العرض السردي للأحداث لا يكون مجرد تنقل في الجغرافية؛ بل المكان يصبح وسيلة للانعكاس السيميولوجي؛ فهو يعكس الغربة، الانتماء الضائع، الشوق، الشعور بتشظي الذات، وهنا يمكننا ملاحظة النص لا يقول: ( إنا في فرنسا الآن ) بل يجعل من وصفه للمكان، وبكل تفاصيله من مسافات والوقت أثناء الترحال، وما يرافق الانتقال من أحداث، علامات تُعيد إنتاج الرواية في مرآة ذاتها، مما يطرح تساؤلات داخل النص تكون خطابًا جديدًا، وتتمحور هذه التساؤلات حول أسئلة وجودية تخص الإنسان العراقي الذي تعرض للقهر، إذ تكون محورية هذه التساؤلات حول نقطة مركزية ينطلق منها هذا الخطاب الجديد وهي: كيف يكون الوطن؟ كيف يكون المنفى؟ كيف يكون الفقد؟ وكيف تستمر اللغة/ العاطفة والتي تتحدث عن المكان؟ وكما في الانعكاس السميولوجي يوجد وعيًا بنظام الدلالات، نجد أن المكان يعكس الهوية، الزمن، الحنين، الغربة، وهذا يكشف آليات توليد المعنى داخل النص، وهذه الآلية تشبه ماطرحه رولان بارت، من أن النص يستطيع أن يعكس بنية الخطاب ذاته، أو كما يقول كريماس النص يصبح موضوعًا داخل النص، ومصداق هذا التطبيق في الراوية استرجاع الدكتورة وردية لذكرياتها في الديوانية اثناء حفل استقبال البابا في باريس[58]، وكذلك هذا النص الذي يبين حجم التشظي الذي بعثر العوائل العراقية بين أرجاء المعمورة **" الساعة هي الآن السابعة صباحًا في باريس. التاسعة في بغداد. العاشرة في دبي. ما زالوا في منتصف الليلة الماضية في مانيتوبا. وهي الواحدة بعد منتصف الليل في هاييتي. كأن جزّارًا تناول ساطوره وحكم على أشلائها أن تتفرق في كل تلك الأماكن. رمى الكبد إلى الشمال الأمريكي وطوّح بالرئتين صوب الكاريبي وترك الشرايين طافية فوق مياه الخليج. أما القلب، فقد أخذ الجزّار سكّينه الرفيعة الحادّة، تلك المخصصة للعمليات الدقيقة، وحز بها القلب رافعًا إياه، باحتراس، من متّكئه بين دجلة والفرات ودحرجه تحت برج إيفل وهو يقهقه زهوًا بما اقترفت يداه "**[59]

وعندما يصف السارد كيفية تفكك العائلة العراقية في المنافي، فإنّ النص لا يكتفي بنقل الأحداث، بل يضع فعل التوثيق السردي نفسه علامةً، وهنا تصبح الرواية أرشيفًا ينعكس داخله الواقع العراقي المتشظي، وكأن السرد مرآة لنفسه. فمثلًا استخدام البريد الإلكتروني للتواصل بين أفراد العائلة ( وردية في باريس، الأبناء في كندا وأستراليا، الأقارب في العراق )[60] فالبريد الألكتروني هنا لا يظهر على أنّه وسيلة تقنية؛ بل بوصفه رمزًا دلاليًا يعكس سردية الشتات والتشظي، فالنص يحوّل المراسلات الالكترونية إلى بنية سردية تعكس ذاتها (سرد داخل سرد) وهنا نرى الانعكاس السميولوجي بوضوح : النص يعرض العلامة وهي ( البريد الألكتروني/ الكتابة ) بوصفهِ موضوعًا للتأمل، لا على أنه مجرد أداة لنقل الحدث، والدليل على أنّه انعكاسًا سميولوجيًا؛ لأنّ النص يعكس بنيته الدلالية داخل ذاته، وفعل المراسلة يتحول إلى علامة كبرى تعكس تفكك الجغرافية والذاكرة، ويصبح السرد ذاته وثيقةً داخل الرواية، وخلاصة القول إنّ الانعكاس السيميولوجي للمكان المعادي يتمثل بصورة من صوره في تحويل فعل الكتابة ( المراسلات والتوثيق ) إلى موضوعٍ سردي داخل الرواية، بحيث يعكس النص بنيته السيميائية على ذاته، ويكشف عن كيفية تشكل المعنى في خطاب الشتات والتشظي والهجرة.

**الخاتمة:**

يكشف تحليل ثنائية المكان الأليف والمعادي في رواية طشاري عن عمق الاشتغال المكاني في بنية السرد، بوصفه ليس مجرد إطار خارجي للأحداث، بل حاملًا لدلالات رمزية وسوسيولوجية ونفسية شديدة التركيب. لقد تجلت وظيفة المكان في الرواية بوصفها أداة لكشف التحولات الوجودية التي مرت بها البطلة وردية، فانتقلت معه من حالة التماهي والألفة إلى الشعور بالاغتراب والتمزق. وقد أكّد البحث أن المكان في طشاري لا يُقرأ بمعزل عن تمفصلاته الاجتماعية والسياسية والطائفية، بل يتعين قراءته كمرآة مكثّفة لعلاقة الفرد بوطنه وانتمائه وهويته.

بيّن البحث كيف مثّلت مدينة الديوانية تجسيدًا حيويًا للمكان الأليف، ليس فقط بسبب انسجام البطلة فيه رغم اختلافها الديني، بل لأن المدينة شكّلت وعاءً احتضن تجاربها الإنسانية والعاطفية والمهنية، ورسّخ جذور انتمائها عن طريق علاقات وجدانية متبادلة، تُوّجت بزواجها من الطبيب جرجس واندماجها في نسيج المدينة الروحي والاجتماعي. وقد توصل البحث إلى عملية التحول المكاني من أليف إلى معادٍ، فقد ناقش كيف تحوّلت أماكن مثل باريس وبغداد إلى فضاءآت معادية تنوء بالاغتراب، سواء بفعل القطيعة النفسية التي فرضها المنفى، أو العنف والتهديدات التي شوّهت صورة بغداد بوصفها مركزًا حضاريًا في الوعي الجمعي. وقد لعبت الدلالات السيميائية دورًا محوريًا في ترسيخ هذه الثنائية، حيث تكرّس حضور الديوانية في اللاوعي السردي كملاذٍ نفسي، مقابل تهميش شعوري للأمكنة الأخرى رغم رمزيتها الثقافية والدينية. وكشفت الدراسة عن الانعكاس السيميولوجي في المكان الأليف والمعادي واشتغال العلامة السيميائية فيه، وكيف انعكس النص على بنيته الدلالية، لتظهر الديوانية إنموذجًا فريدًا للتعايش السلم على وفق علاقة دورانية إتباعية، مقارنة بالامكان المعادية والتي اتسمت بأنها مشابهة للبطلة من الناحية الدينية، لقد كشفت الرواية عبر هذه الثنائيات عن تشظي الانتماء العراقي الحديث، وعن التناقضات الحادة التي فرضتها الحروب والمنفى والطائفية، مما يجعل المكان ليس مجرد فضاء فيزيائيًا، بل فاعلًا جوهريًا في تشكيل الهوية وتدميرها على السواء. بذلك، يتجاوز تحليل المكان الأليف والمعادي في طشاري التناول الوصفي إلى تساؤلات عميقة لعلاقة الذات بمحيطها، ما يجعل هذه الرواية واحدة من أهم النصوص السردية التي تبلور تجربة الشتات والحنين والخسارة في الأدب العربي الحديث.

**الهوامش:**

[1]- **ينظر: المكان والرواية، ياسين النصيّر، الموسوعة الصغيرة ( 57)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص6.**

[2]- **ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001، ص174.**

[3]- **بغداد في الراوية العراقية الصادرة بين عامي 2003و 2010، رسالة ماجستر، طارق جميل، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص21.**

[4]- **ينظر: ، بنية الشكل الروائي ( الفضاء – الزمن – الشخصية )، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ط2، 2009، ص26.**

[5]- **المصدر نفسه، ص32.**

[6]- **المدينة هي التي تسكن فينا، في كتاب: المدينة والرواية ، عبد الستار ناصر، ملتقى القاهرة الثاني للإبداع الروائي، تأليف نخبة القاهرة، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2008، ص71.**

[7]- **جمالية المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1992، ص3.**

[8]- **تحليل الخطاب الروائي، يوسف عليان، عمان: دار الفكر، 2005، ص9.**

[9]- **بلاغة الفضاء الروائي، عبد الحميد بورايو، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2010،ص57.**

[10]- **طشاري، إنعام كجه جي، دار الجديد، 2014، ط2، ص30.**

[11]- المصدر نفسه، ص60.
[12]-المصدر نفسه، ص32.
[13]- طشاري، ص78.
[14]- المصدر نفسه، ص31.
[15]- المصدر نفسه، ص31.
[16]- المصدر نفسه، ص23.
[17]- المصدر نفسه، ص76.
[18]- طشاري، ص62 -63 .
[19]- المصدر نفسه، ص31.
[20]- المصدر نفسه، ص73.
[21]- المصدر نفسه، ص16.
[22]- طشاري، ص186.
[23]
[24]- تحولات المكان في الرواية العربية: دراسة في جدلية العلاقة بين الفضاء الروائي والتحولات الاجتماعية، هدى عطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015، ص87.
[25]- طشّاري، ص248.
[26]- المصدر نفسه، ص129.
[27]- المصدر نفسه، ص129.
[28]- طشاري، ص16.
[29]- المصدر نفسه، ص109.
[30] - Elements de semiology,Roland Barthes. Paris: Editions du Seuil,1964,p. 11.
[31] - Semantique structural, Algirdas J.Greimas, Paris. Larousse, 1966, pp. 9-12.
[32] - مصطلحات معاصرة في النقد السيميائي، يوسف وغليسي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص 142-143.
[33]- تحولات العلامة و تعدد الدلالة في بنية الفيلم السينمائي، محمد سلام عبد، مجلة كلية التربية الأساسية، مجلد. 22، عدد. 93 العلوم الصرف،2016، ص. 609-632.
https://search.emarefa.net/detail/BIM-800127
[34]- البرنامج السردي في رواية (الهؤلاء): دراسة سيميائية ( بحث)، د.يوسف محمد جابر، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، الملجد 20: ، العدد 82، 2014، ص155-170.
[35]- السيميائيات القاموس المعقلن في نظرية اللغة، أ.ج. گريماس و ج. كورتس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط1، 2020، ص623.
[36]- ينظر: المصدر نفسه، ص623.
[37]- المصدر نفسه، ص622.
[38]- طشاري، ص32.
[39]- المصدر نفسه، ص32.
[40]- طشاري، ص32.
[41]- ينظر: السيميائيات القاموس المعقلن، ص622.
[42]- طشاري، ص33.
[43]- المصدر نفسه، ص33.
[44]- المصدر نفسه، ص33.
[45]- المصدر نفسه، ص34.
[46]- الشخصيات الروائية في رواية البلد الجميل لأحمد سعداوي – دراسة سيميائية، د.شيماء عادل جعفر، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 24، العدد 102، 2018، ص155- 170.
[47]- المصدر نفسه، ص34.

[48] - السيميائيات القاموس المعقلن، ص623- 625.
[49]- ينظر: السيميائيات القاموس المعقلن، ص625.
[50]- ينظر: طشاري، ص72 -73.
[51]- المصدر نفسه، ص73.
[52]- ينظر: المصدر نفسه، ص186.
[53]- المصدر نفسه، ص172.
[54]- ينظر: المصدر نفسه، 145- 146.
[55]- المصدر نفسه، ص148.
[56]- ينظر: المصدر نفسه، ص623.
[57]- ينظر: طشاري، ص129 -130.
[58]- ينظر: المصدر نفسه، 14- 16.
[59]- طشاري، ص17.
[60]- ينظر: المصدر نفسه، ص52- 60.

## قائمة المصادر والمراجع

1. البرنامج السردي في رواية (الهؤلاء): دراسة سيميائية ( بحث)، د.يوسف محمد جابر، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، الملجد 20: ، العدد 82، 2014، ص155-170.
2. بغداد في الراوية العراقية الصادرة بين عامي 2003و 2010، رسالة ماجستر، طارق جميل، كلية الآداب، جامعة بغداد.
3. بنية الشكل الروائي ( الفضاء – الزمن – الشخصية )، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ط2، 2009.
4. بلاغة الفضاء الروائي، عبد الحميد بورايو، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2010.
5. تحولات العلامة و تعدد الدلالة في بنية الفيلم السينمائي ( بحث )، محمد سلام عبد، مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية، مجلد. 22، عدد. 93 العلوم الصرف،2016، ص. 609-632.
6. تحليل الخطاب الروائي، يوسف عليان، عمان: دار الفكر، 2005.
7. تحولات المكان في الرواية العربية: دراسة في جدلية العلاقة بين الفضاء الروائي والتحولات الاجتماعية، هدى عطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015.
8. جمالية المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1992.
9. السيميائيات القاموس المعقلن في نظرية اللغة، أ.ج. گريماس و ج. كورتس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط1، 2020.
10. الشخصيات الروائية في رواية البلد الجميل لأحمد سعداوي – دراسة سيميائية ( بحث )، د.شيماء عادل جعفر، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، المجلد 24، العدد 102، 2018، ص155- 170.
11. طشاري، إنعام كجه جي، دار الجديدة، 2014، ط2.
12. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001،
13. المدينة هي التي تسكن فينا، في كتاب: المدينة والرواية ، عبد الستار ناصر، ملتقى القاهرة الثاني للإبدا الروائي، تأليف نخبة القاهرة، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2008.
14. المكان والرواية، ياسين النصيّر، الموسوعة الصغيرة (57)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980.

1.The Narrative Program in the Novel (These): A Semiotic Study (Research), Dr. Youssef Mohammed Jaber, Journal of the College of Basic Education, Al-Mustansiriya University, Volume 20, Issue 82, 2014, pp. 155-170.

.2Baghdad in the Iraqi Novel Published Between 2003 and 2010, Master's Thesis, Tariq Jameel, College of Arts, University of Baghdad.
.3The Structure of the Novelistic Form (Space, Time, Character), Hassan Bahrawi, Arab Cultural Center - Casablanca, Beirut - Lebanon, 2nd ed., 2009.
.4The Rhetoric of the Novelistic Space, Abdel Hamid Bourayou, Algeria: Ikhtilaf Publications, 2010.
.5Transformations of the Sign and Multiple Meanings in the Structure of the Cinematic Film (Research), Muhammad Salam Abdul, Journal of the College of Basic Education, Vol. 22, No. 93, Pure Sciences, 2016, pp. 609-632.
.6Narrative Discourse Analysis, Yousef Alian, Amman: Dar Al Fikr, 2005.
.7Spatial Transformations in the Arabic Novel: A Study of the Dialectic Relationship between Narrative Space and Social Transformations, Hoda Attia, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2015.
.8The Aesthetics of Space, Gaston Bachelard, translated by Ghaleb Halasa, Beirut: University Foundation for Studies, 1992.
.9Semiotics: The Rationalized Dictionary of Language Theory, A.J. Greimas and J. Kurtz, Kunuz Al-Ma'rifa Publishing and Distribution House, Amman, Jordan, 1st ed., 2020.
.10Narrative Characters in Ahmed Saadawi's The Beautiful Country - A Semiotic Study (Research), Dr. Shaima Adel Jaafar, Journal of the College of Basic Education, Volume 24, Issue 102, 2018, pp. 155-170.
.11Tashari, Inaam Kachachi, Dar Al-Jadida, 2014, 2nd ed.
.12The Narrative Space in Jabra Ibrahim Jabra, Dr. Ibrahim Jandari. General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad, 2001.
.13The City Is What Resides Within Us, in the book: The City and the Novel, Abdul Sattar Nasser, The Second Cairo Forum for Novel Creativity, authored by Cairo Elite, Vol. 2, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st ed., 2008.
.14Place and the Novel, Yassin Al-Nassir, The Small Encyclopedia (57), Publications of the Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1980.

المصادر الأجنبية:

1. Elements de semiology,Roland Barthes. Paris: Editions du Seuil,1964,
2. Semantique structural, Algirdas J.Greimas, Paris. Larousse, 1966

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 797-812

# The familiar and hostile place and its semiological reflection on the novel Tashari by Inaam Kachach

**Dr. Tariq Jameel Sakban**
Ministry of Education - Karbala Education Directorate
Dr.tariqjameel158@gmail.com
**07780768509**

**Abstract:**

The most important reason for choosing this research is the qualitative value of this novel, in which time and place have an important semiological reflection. Therefore, the research addresses the duality of the familiar and the hostile place and its semiological reflection on the novel "Tashari" by Inaam Kachachi. The research identifies the positions that made this place familiar or hostile. We found the place to be a symbol that depicts Iraqi society and its peaceful coexistence through its being a familiar place. The hostile place also depicted the extent of the oppression and fragmentation of the Iraqi person in exile, and showed us the extent of the disintegration of Iraqi families due to migration outside the homeland. The semiological reflection of these places worked to generate meaning as a subject within a text to generate new meanings, through the semantic function of the sign within the narrative text. The most important problem of the research is the scarcity of sources that address such a thorny topic that combines the semiological importance of place and time, and their semiological reflection on the character who represents the spirit of religious minorities in Iraq. Therefore, the research succeeded in breaking the stereotype between the other and his place of presence with the majority. The heterogeneous majority has become a familiar place for the heroine's character, as she belongs to the different other, while the place where the majority that matches the heroine's character resides has become a hostile place, as is clear in the city of Paris

**Keywords:** Tashari’s novel, familiar place, hostile place, semiological reflection.